الكتب

الرحيل - رجل

تأليف محمود البدوى

للأستاذ محمد على غريب

القصة المصرية عندنا ما تزال فى مهدها اليوم ، وأكبر الظن أنها سوف تبقى فى لفافات الطفولة الى مدى طويل ، وأن يفقد الأدب العربى عندنا هذه الثروة الضخمة التى انحصرت فى القصة ومنحت الآداب الغربية ما لها اليوم من تفوق ونجاح

وقل أن تقع فى يدى قصة مصرية فأهوى بأوراقها الى الطاهى ليصنع منها أغطية لزجاجاته الكثيرة ، فما وجدت من هذه القصص السخيفة إلا كل سخف وسماجة وموضوع يمسك هذا بطرفه وذاك بالطرف الآخر منه ثم يتنازعان نهايته . . فتاة فقيرة أو غنية ، يعشقها أو تعشق هى شابا فقيراً أو غنياً ، على شرط ألا يكون أحدهما كفؤا للآخر فى الثروة ؛ وبعد دموع كثيرة وزفرات تدير الطواحين تنتحر الفتاة أو ينتحر الشاب أو ينتحران معاً . . طبقا لرغبة المؤلف وميله الى أحد البطلين

ذلك رأيى ... ومنذ شهور أهدى الىّ صديقى الأديب الفاضل الأستاذ محمود البدوى قصته (الرحيل) فتركتها معه ريثما آخذ نفسى بأن تدع محاباة الصديق فى تلك الهدية ، وقرأتها ؛ وبعد ذلك أهدى إلى قصته (رجل) فقرأتها ، ولأول مرة يندب الطاهى حظ زجاجاته

لست أثنى على صديق لأن بينى وبينه هذه الصلة ، فان من الخير لى وله أن أجاهره بالرأى الصريح ولو كان فيه مايؤلمه ، فأننى أعرف فيه حسن تقبله للنقد ؛ ولم تصلح الصداقة يوما ما رشوة بين صديقين يحب كلاهما صاحبه ويخلص له . فالواقع أن هذين الكتابين اللذين أخرجهما الأستاذ البدوى لقراء العربية من خير المحاولات المفيدة الناجحة فى سبيل بعث القصة المصرية ووجودها

فى قصة الرحيل ترى يد شاب امتلأ صدره بشتى العواطف والنزعات ، ترسم على الورق بعض ما يروح عنها .. إنه شاب نشأ فى البيئة الخانقة المزعجة ، فلما بهرته أضواء المدنية ورأى فيها حيلته عاجزة كليلة راح يستصغر نفسه دونها ويحاول أن يخفى ارتباكه باطلاق العنان لهذه الجياد الجامحة فى نفسه ؛ فهو طوراً يمجد الجمال ويتفهم الحب ، وطوراً ينزع الى الرغبة فى التحرر من كل قيد ، وطوراً تعود به نفسه الى طبيعته الأولى فيستهويه صوت المؤذن ويخشع قلبه للدين وتعاليمه

وأنت إذا قرأت هذه القصة على هذا النحو أمكنك بسهولة أن تدرك لماذا لم يحتفل المؤلف بأسلوبه ، وكيف جاءت ألفاظه مكررة فى بعض المواضع ، ولأى شىء التجأ الى الغموض والأبهام فى عباراته

إنه يرسم صورة من نفسه ، ونفسه ترسف فى أغلال قوية وتحاول الخروج منها ، فاذا عجزت عن المحاولة ترنمت بالايمان ، وإذا نجحت فى التنفيس عن كرباتها فرحت بهذه الأضواء الباهرة التى يجد فيها حياته كلها وجميع أمانيه ...

* * *

أما قصته (رجل ...) وقصصه الصغيرة الأخرى ، فعلى هذا الطراز الفخم من الدقة والقوة والمتانة .. قصص يمكنك أن تقول عنها إنها من أقوى القصص المصرية الناجحة ، دون أن يضطرب ضميرك ، أو تنزعج نفسك ؛ ومن بينها قصة (الأعمى) . إنها صورة صادقة من أبلغ ما كتب الأدباء المصريون ، وقد امتزج فيها الفن بالواقع ، فترى أمامك مزيجاً منهما يلزمك أن تعاود قراءتها

ولست فى الواقع أريد أن أتحدث كثيرا عن هذه الباكورة الشهية التى تفتحت عنها جهود شاب أديب ، وكان خيرا لى وله أن أصبر طويلاً حتى أستوعب هذه القصص وأكتب عنها طويلاً ، ولكننا فى هذه الأيام نحتاج إلى السرعة والتعجل حتى لا نفقد الفرصة المناسبة ، ولهذا كتبت تلك الكلمة الصغيرة على الرغم منى